العدل في أرض الهوى

يا عادلاً في كلِّ أمرٍ في الهوى .. حتّى إذا قد كانَ أمري يظلمُ
يا راحمًا كلَّ القلوبِ بعطفه .. فإذا رأى قلبي هوى لا يرحمُ
تقضي فتُنصفُ للجموعِ ولا ترى .. جرحًا بقلبي خلّفته الأسهمُ
ترمي بسهمِ النارِ ترجو أضلعي .. فيشُبُّ في قلبي هواكَ ويَضرَمُ
وتظِّلُ نارُك في الضلوعِ لأشهرٍ .. بدُخَانِها يُطوى الزمانُ ويُركَمُ
وتمرُّ بي الأيّامُ بين جحيمِها .. لا أبتغي هربًا ولكن أُغرَمُ
حتّى دموعي ما أرادت خَمدَها .. والقلبُ فيها، في هُيَامٍ يُؤلَمُ
ألمٌ على ألمٍ ولكن في الهوى .. هانَ العذابُ ولستُ يومًا أَسأمُ
وأقولُ أنسَى في البعادِ وتنطفي .. ناري وأشلاءَ الحُطامِ أُلملمُ
حتّى إذا سكنَ الحريقُ من النوى .. تأتي وترمي بالسهامِ وتَهجُمُ
ونعيشُ في ذاكَ الصراعِ كأنَّه .. نَذرٌ علينا والوفاءُ مُحَتَّمُ
قل لي فمن فينا الضعيفُ ومن طغى .. ومن البريءُ ومن بهذا يُجرِمُ
أَنصِف بلا بَغيٍ لخَصمٍ في الهوى .. يرتاحُ قلبي لو بعدلٍ تحكمُ
أرأيتَ إن كنتَ الخَصيمَ وقاضيًا .. أيكونُ عدلًا أم بدَوري أُظلَمُ
أرأيتَ إن كنتُ الضحيةَ في الهوى .. ومحاميًا أفغالِبٌ أم أُهزَمُ
يا سَيّدي القاضي إليكَ المُشتَكَى .. من عُمقِ قلبٍ في الجوى يَتَضَرَّمُ
وكتبتُ شكوايَ الطويلةَ عن أسى .. ما قد رأيتُ وما زمانًا أكتمُ
ضاعت ليالٍ في كتابةِ شرحِها .. والدمعُ يمحو حرفَها ويُحطَّمُ
وإذا أردتَ أدلَّةً عن ما جرى .. فحُطامَ قلبي والرَمادَ أُقدَّمُ
ونِصَالَ أسهمِكَ اللعينةِ في دمي .. وضلوعَ صدري من أذاها تُقصَمُ
وبقيّةً مما تركتَ محملًا .. بالذكرياتِ فلا يموتُ ويُعدَمُ
والليلَ أطلبُ شاهدًا يحكي لنا .. عن أدمعٍ ما الحزنُ منها يُفطَمُ

عكست شعاعَ البدرِ رُدَّ كبائسٍ .. شهدت أساه كواكبٌ والأَنجمُ
ووِسادتي تروي سُهَادي كلّما .. طالَ الفراقُ وباللقا أَتعَشَّمُ
إن تسألِ المرآةَ تشهد كم مضى .. ليلٌ عليَّ وبدرُ وجهي مُعتِمُ
هذي الشُهُودُ وقد عَلِمتَ أدلّتي .. أمّا الدفاعُ فحالتي تتكلَّمُ
والحُكمُ عندك فاقضِ فينا ما ترى .. آنَ الأوانُ فكلُّ شيءٍ يُحسمُ
احكُم بقتلِ الذكرياتِ وعطرِها .. فلعلَّ صدري غيرَها يتنسّمُ
طهّر دمائي من نصالِك دَاوِها .. من كلِّ ما صارت به تتسمّمُ
احكم بفكِّ السحرِ عني وارمني .. في درْكِ جبٍّ كي يزولَ الطِلْسمُ
أنصف ولا تخشَ البعادَ فإن يكن .. فيه الصلاحُ فسوفَ يومًا نفهمُ
اعتَدتَ بُعدي لن تعانيَ إنّما .. من مثلُ قلبي بالفراقِ سيُهدَمُ
واجعله حكمًا نافذًا في حينه .. واجلبْ إليه شهودَنا كي يَختِموا
واكتبْ نهايةَ عهدِنا وابعَثْ بها .. رُسُلًا بأقطارِ البلادِ تُرنّمُ
واحلِفْ بعهدِك لا تعودُ وإنّني .. من فرطِ جرحي بالأنينِ سأقسمُ.